

الكشكول اللغوي (٦)

النُّور والنَّار، والنَّهْر والنَّهَار، والمَنَار، والأُور

أ. د. رفعت هزيم^(*)

لا تحتاج ألفاظُ «النُّور» و«النَّار» و«النَّهْر» و«النَّهَار» إلى تعريفٍ أو توضيح من حيث دلالاتها؛ لأنَّ صغار الطلبة يعرفون أنَّ النُّور هو الضوء، وأنَّ النَّار لهبٌ وحرارةٌ محرقة، وأنَّ النَّهْر مجرى الماء العذب، وأنَّ النهار ضياءٌ ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

ولكن ما يلفت النظر في هذه الألفاظ الأربعة اشتراكها جميعها في صوتين صامتين هما النون والراء، واشتراك اثنين منها - وهما «النَّهْر» و«النَّهَار» - في صوتٍ صامت ثالث هو الهاء، في حين أن الصوت الثالث في «النور» و«النار» صائت - أي: حرف علة - هو الضمّة الطويلة [الواو] في أولهما، والفتحة الطويلة [الألف] في الآخر. وإذا كان التماثلُ بيّناً من حيث البناء وحده في الثنائي الثاني، وهو «النَّهْر» و«النَّهَار»، ومن حيث المبنى والمعنى في الثنائي الأول، وهو «النور» و«النار» = فإنَّ هذه المقالة ستقتضى الصلة الاشتقاقية والدلالية بين الألفاظ الأربعة ولواحقها ونظائرها في اللغات السامية للإجابة عن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن: هل يجمع جذر

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

مشترك ودلالة مشتركة بينها كلها؟

يرى اللغويون المتقدمون أنّ في العربية أربعة أفعالٍ للدلالة على «النُّور» وهي: نارٌ نُورًا، وأنارَ إنارةً، واستنارَ استنارةً، ونوّرَ تنويرًا، يقال: «نارٌ نُورًا: أضواءً... واستنارَ به: استمدَّ شُعاعه، ونوّرَ الصُّبحُ: ظهرَ نُورُهُ...، والتنوير: وقتُ إسفار الصُّبح، وأنارَ المكانَ إنارةً: وضعَ فيه النُّور...»، ويضاف إليها اسمان، «فالمَنارُ والمَنارةُ: موضعُ الثُّور، والمَنارةُ: الشمعةُ ذاتُ السُّراج، والتي يوضع عليها السُّراج،... والجمع: مَناورٍ على القياس، ومَنائرٍ مهموز على غير قياس».

والدلالة الثانية للجذر الثلاثي (ن و ر) في لفظ «النُّور» - بفتح النون -؛ فـ «النُّورُ- والجمع أنوار- والنُّورةُ: الزَّهرُ الأبيض والأصفر، والنُّوارُ كالنُّور، وواحدته نُوراة».

والدلالة الثالثة له في لفظ «النار»، وقد اكتفى ابن منظور في شرحه بالقول: والنارُ: معروفةٌ أنثى، وهي من الواو؛ لأنَّ تصغيرها: نُورَة،... وقد تُدكَّر، والجمع: أنوْرٌ ونيرانٌ ونيرةٌ ونوْرٌ ونيارٌ وأنيارٌ أما اللفظ الأول من الجذر الثلاثي (ن ه ر) فهو «النَّهارُ»، وقد صرَّح اللغويون في تعريفه بأنه «ضياءٌ... أو انتشار ضوء البصر»، والجمع: أنْهَرٌ ونُهْرٌ...، وأنْهَرنا: من النهار،... وأنشد سيبويه:

لستُ بِلَيْليٍّ ولكنِّي نَهْرٌ أدلجُ الليلَ ولكنْ أبْتَكِرُ
وجعلَ «نَهْر» في مقابلة «لَيْلي» كأنه قال: لستُ بِلَيْليٍّ ولكنِّي نَهاريٍّ، وقالوا: نَهَارٌ أنْهَرٌ كَلَيْلٍ أَلَيْلٍ، ونَهَارٌ نَهْرٌ كذلك، كلاهما على المبالغة»^(١).
واللفظ الثاني في هذا الجذر هو «النَّهْرُ» بسكون الهاء أو فتحها، «والجمع:

(١) اللسان.

أنهارٌ ونَهْرٌ ونُهور، وهو مَجْرى الماء، والفرق بينه وبين «الجدول» و«الساقية» و«القناة» غزارةٌ مائه، يُقال: «نَهَرَ الماءُ: إذا جرى في الأرض وجعلَ لنفسه نَهْرًا، وكلُّ كثيرٍ جرى فقد نَهَرَ»^(٢)، «والنَهْرُ - مُحْرَكَةٌ - السَّعَةُ، ونَهْرٌ نَهْرٌ: واسعٌ»، و«المنَهْرُ: موضعٌ في النهر يحتفره الماء»^(٣)، وينشأ عن سعة المجرى وغزارة المياه وجريانها الضياء الذي يراه الناظرُ إلى الأنهار.

أما نظائر الجذر nw\yr في اللغات السامية فهي الفعل nawâru = أنارَ، والصفات: nawr: «نائرٌ، مُنيرٌ» و munawwiru «مُنورٌ» في الأكادية^(٤)، ومنه الاسم nûru بمعنى «النور» و«النار» معًا. و nr «النور» في الأوغاريتية^(٥)، و nwr «النار» في الآرامية التوراتية^(٦). ويدل الجذر nw\yr في السريانية على «النار»، يقال nayar nÔrâ = أوقد/ أشعلَ النارَ، وبصيغة nÔrtâ = التَّورَة على الزَّهر^(٧). أما mnârtâ = «المنارة» فدلالاتها كما في العربية، ويرى بروكلمان أن دلالتها على «المئذنة» مأخوذة من العربية^(٨). ولا تستعمل العبرية فعلاً من الجذر nwr، بل تستعمل الأسماء المشتقة منه: nîr + nêr - بالياء = المصباح، السراج، و mnÔrâ = المنارة؛ أي: الشمعة ذات السَّراج^(٩). والظاهر أن الجعزية أخذت الاسم من nûr + nâr من «النار» و«النور» في

(٢) اللسان.

(٣) ق. المحيط.

(٤) AHW 672b+768b+805a.

(٥) Gordon, nr 1644.

(٦) Gesenius 541.

(٧) اللباب ٧٢٣.

(٨) Brockelmann 422.

(٩) KBL 645+568+682.

العربية، ثم صاغت من ثانيهما الفعل nawwara = «أنارَ، أضاءَ»، كما أخذت الاسم manârat = المنارة من الآرامية^(١٠).

أما الجذر nhr فله في السريانية دالتان: إحداهما: «النور»: في الفعل الثلاثي nhar، يقال: nhar Šrâgâ أضاء السراج و nhar ŠamŠâ بزغت الشمس و nhar kaukbâ طلع الكوكب، والرباعي 'anhar = أضاء وأنارَ، والمتعدي nahhereh = نورَه، ومنه الاسم nûhrâ = «النور» و«الضياء»، والصفة =nahhîrâ = «النير». والدلالة الأخرى: «النهر» في nahrâ والجمع nahrawâtâ^(١١).

وأما العبرية ففيها جذران متطابقان في البناء nhr، ولكنهما مختلفان في الأصل والدلالة، وأحدهما nâhar = جرى، تدفَّق، ومنه nâhâr = النهار، و minhâr = المنهر، والآخر nâhar أيضاً، ولكنه بمعنى أضاء وأنارَ، وهو مأخوذ من الآرامية، ومنه nhârâ «النور»^(١٢).

ولا يدل الجذر nhr في الفعل nahara في الجعزية إلا على جريان الماء، وعلى مجراه في الاسمين nahâr = النهار و mênhâr = المنهر^(١٣). ولكن «النهر» لا يرد بصيغة nhr في الأكادية، بل يرد بصيغة خالية من الهاء هي nâru^(١٤).

وذهب فرنكل إلى أن بعض الألفاظ من الجذرين دخيل في العربية، فزعم أن العرب أخذوا لفظ «المنارة» من السريانية بعد أن رأوها في الكنائس، ولذا حاروا في أصله، فجمعوه على مناور؛ أي: من «النور»،

.Leslau 351a+ 401b+410a (١٠)

(١١) اللباب ٧١٤.

(١٢) KBL 639.

(١٣) Leslau 394a.

(١٤) AHw 748b.

وعلى «منائر»؛ أي: من «النار». وزعم فرنكل أيضاً أن العرب عرفوا السواقي فقط؛ ولذا أخذوا لفظ «النهر» من لغة سكان حوض الفرات^(١٥). غير أن زميليه جويدي I.Guidi ومولر D.H.Müller أكدوا أصالة اللفظين في العربية، زد على ذلك أن لفظ «المنارة» معروف في العربية الجنوبية بصيغتي mnrt في السبئية وmnwrt في المعينية، ويعني في كليهما «منار المذبح»، أما «النَّهْر» فقد ورد بصيغة الجمع 'nhr = 'أنهار» في السبئية^(١٦).

ويسمح هذا العرض بالافتراض أن العربية وأخواتها الساميات عرفت اسماً من جذر ثلاثي فائوه نونٌ وعينه واوٌ أو هاءٌ ولامه راء، وصيغته أربع: التُّور والنار والنَّهْر والنهار، ومعناه فيها كلها هو التُّور والضياء؛ فالنارُ ضوءٌ ولهب، والنهر مجرى ماء متدفق يملأ الفضاء بريقاً وضوءاً، وضياء النهار يقابل ظلمة نقيضه الليل، ثم صاغت العربية وأخواتها منها الأفعال، وتلا ذلك صوغ المشتقات، فصاغوا «المنارة» لتدل على موضع التُّور والشمعة ذات السراج والمئذنة، فأخذ العثمانيون المعنى الأخير، وصارت صيغته minarat في التركية، وانتقل منها إلى الإسبانية بصيغة minarete، وإلى الفرنسية والإنكليزية بصيغة minaret، وإلى الألمانية بصيغة minarett. وأضاف العرب بعد ذلك دلالة رابعة لـ «منارة الإسكندرية» التي نسبها الطبري والمسعودي وابن كثير وسواهم إلى ذي القرنين، وجعلوها إحدى عجائب الدنيا. والجمع من «المنارة» هو «المنار» لأعلام الطريق والحدود بين الأرضين، ومنار الحرم: أعلامه التي ضربها إبراهيم الخليل على أقطار الحرم ونواحيه وبها تُعرفُ حدود الحرم...، وفي الحديث: «إن للإسلام

(١٥) Fraenkel 271+ 285.

(١٦) المعجم السبئي ٩٤+ ١٠١ + 69.Arbach.

صَوَّى وَمَنَارًا؛ أي: علامات وشرائع يُعرفُ بها. وأضافوا في العصر الحديث «المَنُور»، وهو كَوَّةٌ لدخول النُّورِ إلى المكان^(١٧).

واشتقوا من «النَّار» الفعل: تَنَوَّرَ النَّارَ: نَظَرَ إِلَيْهَا أَوْ أَتَاهَا، وَالْفِعْلُ: نُرْتُ البعيرَ: جعلتُ عليه نارًا، وما به نُورَةٌ؛ أي: وَسَمٌ،... قال أبو منصور: ما نارٌ هذه الناقّة؟؛ أي: ما سَمَّتْهَا؟ سُمِّيتْ نارًا؛ لأنها بالنار تُوسم. وجمعوا «النار» على أنوار ونيران ونيرة ونُور ونيار.

وصاغوا من «النُّور» و«النُّور» بمعنى «الزَّهر» الأفعال: نَوَّرَ الشَّجْرُ والنباتُ، وتنويرُ الشجرة إزهارُها، وأنوَّرتُ وأنارت: أخرجتُ نُورَها.

واشتقوا من «النَّهْر» الأفعال: «نَهَرَ الماءُ: إذا جرى في الأرض، وكلُّ كثيرٍ جرى فقد نَهَرَ واستنهرَ،... وفي الحديث: «ما أنهرَ الدَّمُ فُكُلًا»، والإنهارُ: الإِسالةُ والصَّبُّ بكثرة، واسم المكان «المَنهر» للموضع يحتفره الماءُ، أو للشَّقِّ النافذ في الحصن يجري فيه الماء، كما صاغوا «الناهر» و«النَّهر» للعب الأبيض، والناهور السحاب^(١٨).

ومن الطريف أن المتقدمين اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]، «فيجوز أن يعني به السَّعة والضياء؛ لأنَّ الجنَّةَ ليس فيها ليلٌ، وأنَّ يعني به النَّهر الذي هو مجرى الماء على وضع الواحد موضعَ الجميع»^(١٩)، كما أجازوا وجهين في تفسير «النار» في قوله تعالى: ﴿بُورِكٍ مِّنْ فِي النَّارِ وَمِنْ حَوْلِهَا﴾ [النمل: ٨] «فنقل ابن منظور عن الزجاج: «مَنْ فِي النَّارِ هُنَا نُورُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ حَوْلِهَا قَيْلٌ: الملائكة، وقيل: نور الله

(١٧) م. الوسيط.

(١٨) ق. المحيط.

(١٩) اللسان.

أيضاً»، وكذلك فعلوا في دلالة الفعل «أنور» في «حديث خزيمة: أنورت الشجرة؛ أي: حسنت خضرتها من الإنارة، وقيل: إنها أطلعت نورها، وهو زهرها،... ونورت الشجرة وأنارت: أخرجت نورها، وأنار النبت وأنور: ظهر وحسن^(٢٠).

فهذا كله بيان واضح لاشتراك الجذرين في المبنى والمعنى، ويظهر أن بعض المتقدمين فطنوا إلى ذلك، ومنهم الراغب الأصفهاني: «وقال بعضهم: النار والثور من أصل واحد وكثيراً ما يتلازمان، فالنار متاع للمؤمنين [أي: الفقراء] في الدنيا، والثور متاع لهم في الآخرة»^(٢١)!

وقد يعترض أحدهم بالقول: ثمة ألفاظ أخرى من الجذور «ن و ر» و«ن ه ر» و«ن ي ر» تبعد دلالاتها كثيراً عن النور والضياء والنار، ومنها: نارت المرأة، فهي نوارٌ ونوور: نفرت من الريبة، و: نهر: زجر كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]، و: النهار: فرخ القطا، أو ذكر البوم، أو ولد الكروان، أو ذكر الحباري^(٢٢)، و: «النير» ذو الدالتين، إحداهما: علم الثوب ولحمته وهُدبه،... وثوبٌ ذو نيرين: إذا نسج على خيطين،... والطرة من الطريق تُسمى النير تشبيهاً بنير الثوب، وهو العلم في الحاشية، ومنه النيرة وهي الخشبة يُنسج بها، والدلالة الأخرى - وهي شائعة اليوم - نيرُ الفدان، وهو الخشبة التي تكون على عنق الثور^(٢٣). ويظهر أن هذه الألفاظ من جذورٍ أحر، ولبعضها نظائر في الساميات، ففي السريانية الفعل nwar

(٢٠) اللسان.

(٢١) المفردات ٥٠٨.

(٢٢) ق. المحيط.

(٢٣) اللسان.

«نَفَرًا»، ومنه اسم الفاعل nawwâr^(٢٤)، وفي الأكادية nîru «نير الثور»^(٢٥)،
ومنها إلى العربية، وإلى nîrâ في السريانية.

ولا بدّ من إضافة لفظين آخرين إلى الألفاظ الخمسة: «التُّور» و«التَّار»
و«النَّهر» و«النهار» و«المنار» لصلتهما بها مبنى ومعنى: أحدهما «الأوار»،
وقد ذكر اللغويون أنه «شدّة حرّ الشمس ولفح النار ووهجها، ومن كلام
الإمام عليّ (ر): فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ أَوَارٍ نِيرَانٍ مَوْقِدَةٌ»^(٢٦). ومن نظائره
في الساميات urru = «النهار، الصباح» في الأكادية^(٢٧)، و'r = «الضياء» في
الأوغاريتية^(٢٨)، و'Ôr = «النور، الضياء» في العبرية^(٢٩)، و'ūrâ = «النور» في
السريانية^(٣٠)، فهل تكون الهمزة في أوّله بدلًا من النون؟

والآخر هو «الْوَهْرُ» ودلالته شبيهة بدلالة السابق، فهي «تَوْهَجٌ وَقَع
الشمس على الأرض حتى ترى له اضطرابًا كالْبُخَارِ، يمانية، وَلَهَبٌ وَاهِرٌ:
ساطع»^(٣١). وقد أوردته نولدكه في بحث عن «الإبدال اللغوي بين النون
والواو أو الهمزة في فاء الجذر في الساميات» وقرنه بـ «الأوار» في العربية
وأخواتها، غير أنه استبعد الإبدال في العربية بين الهمزة والنون^(٣٢)، ولكن
اللغويين العرب ذكروا أمثلةً له، ومنها: «أشْرَ الخشْبَةَ بالمِشَارِ: نشرها...،

.Brockelmann 421â (٢٤)

.AHw 793b (٢٥)

(٢٦) اللسان.

.AHw 1433a (٢٧)

.76 (٢٨)

.KBL 23 (٢٩)

(٣٠) الباب ١٤.

(٣١) اللسان.

.Nöldeke 181,189 (٣٢)

والمئشارُ: المِشار...، ومنه الحديث: فقطعوهم بالمآشير؛ أي: بالمنشير»^(٣٣)،
أما «الوهر» فلعله - كما قالوا - بلهجة يمنية.

* * *

المصادر والمراجع

بالعربية:

- القاموس المحيط: الفيروزابادي، ٤ أجزاء، بيروت د.ت.
- اللباب: جبرائيل القرداحي، بيروت ١٨٩١.
- لسان العرب: ابن منظور، بيروت د.ت.
- المعجم السبئي: أ.بيستون، ج. ريكرمانز، م. الغول، و. مولر، بيروت ١٩٨٢.
- المعجم الوسيط: ط ٢ القاهرة ١٩٧٢.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت د.ت.

باللغات الأجنبية:

- AHw: von Soden, W.: Akkadisches Handwörterbuch. Wiesbaden 1965.
- Arbach M.: Lexique Madhabien. Aix-En-Provence 1993.
- Brockelmann, k.: Lexicon Syriacum. 1928, Neud. Hildesheim 1966.
- Fraenkel, S.: Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen. Leiden 1886, Neud. 1982.
- Gesenius, H.W.: Hebrew-Chaldee Lexicon to the Old Testament.

Michigan 1979.

- Gordon, C.H.: Ugaritic Textbook ,3 Vol., Roma 1965.
- KBL = L. Koehler & W. Baumgartner: Hebräisches und Aramäisches Lexikon zum Alten Testament. 3 Auflage. Leiden 1967-1995.
- Leslau , W.: Comparative Dictionary of Gecez. Wiesbaden 1987.
- Nöldeke , Th.: Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft. 1910 Neud. Amsterdam 1982.

* * *